أبو الحسن علي الحسني الندوي

# كيف دخل العرب التاريخ ؟

نشر و توزيع
المجمع الاسلامي العلمي
لكهنؤ — الهند

www.abulhasanalinadwi.org

مطبوعات المجمع الاسلامی العلمی

رقم ۷٤

الطبعة الثانيــة

مطبعة لكهنئو بـــبليشنك هاؤس ــ لكهنئو ، الهند
١٤٠٠هـ المصــادف ١٩٨٠م

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

ألقى سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي كلمة في حفلة عقدت في المكتبة العامة في دبي ( اتحاد إمارات الخليج) ليلة الثلاثاء ٥/ محرم ١٣٩٤هـ الموافق ٢٨/ يناير ١٩٧٤م، حضرها عدد كبير من أعيان البلدين ( دبي و الشارقة ) والأساتذة الكبار و رجال التربية و الثقافة و العلماء .

وقد قدم المحاضر وزحب به الأستاذان الكبيران الشيخ عبد الودود شلبي نائب المدير العام للأوقاف و الشئون الاسلامية بالشارقة ، والشيخ توفيق عاشور مدير المعهد الديني بدبي باسم البلدين العربيين الاسلاميين اللذين زارهما المحاضر لأول مرة، وقام المحاضر الكريم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى وسلم على النبي ﷺ وشكر



www.abulhasanalinadwi.org

الأستاذين الكريمين على كلمتهما الترحيبية الرقيقة ، ثم ألقى محاضرته.

كما نشكر سعادة الأستاذ كمال حمزة مدير بلدية دبي على اهتمامه بعقد هذه الحفلة وتنظيمها وتوجيه دعوة الحضور إلى أصحاب العلم و الثقافة على نطاق واسع .

و تلقيت الكلمة باستحسان وقبول عظيمين و سجلت ، ولكن — مع الأسف — لم تحصل على الشريط المسجل ، فطلبنا من صاحب الكلمة أن يسجلها فأملى هذه السطور فى ضوء الكلمة التى كان قد ارتجلها ، و جاءت هذه المقالة على أساس الفكرة التى تدور حولها المحاضرة مع زيادات ذات قيمة كبيرة ننشرها هنا شاكرين

سعيد الأعظمى الندوى

مدير التحرير

للبحث الاسلامى

٢٥ / ١ / ١٣٩٤ هـ



www.abulhasanalinadwi.org

# كيف دخل العرب التاريخ ؟

و إنه لذكر لك و لقومك و سوف تسألون (١) .

إن دخول شعب فى التاريخ — أيها السادة و الاخوان — ليس بالأمر اليسير ، إنه حادث يحسب له حساب كبير ، فقد تظل شعوب كثيرة غنية بالمواهب والطاقات ، زاخرة بالحياة و النشاط، منطوية على نفسها ، منعزلة عن العالم ، مغمورة مطمورة قروناً كثيرة و آلافاً من السنين لا يعيرها التاريخ اهتماماً ، ولا يلقى لها بالا ، والتاريخ صيرفى حاذق لا يقبل إلا من وفى بشروطه ورجح

---

(١) سورة الزخرف ٤٤ .

فسر ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، و السدى ، و ابن زيد ، واختاره ابن جرير و لم يحك سواه ، « الذكر » فى هذه الآية بالشرف ، فقالوا معناه لشرف لك ولقومك .
( تفسير ابن كثير )



www.abulhasanalinadwi.org

فى ميزانه ، و هو جاد غير هازل ، مشغول غير عاطل ، ضنين شحيح ، لا يفتح صدره ، ولا يفسح المجال إلا لمن أقنعه بصلاحيته و غنائه ، أو أرغمه على الاهتمام بشأنه ، بقوته وانتصاراته ، وشق طريقه إلى الأمام ، و احتل الصدارة أو الزعامة ، فى مصاف الشعوب و الأمم ، و على مسرح العالم .

و إذا استعرضنا التاريخ استعراضاً شاملا وجدنا أن هناك مداخل ثلاثة تدخل منها الشعوب و الأمم التاريخ ، و تفرض على المؤرخين و المؤلفين التنويه بشأنها و تدوين أخبارها ، والاعتراف بفضلها ، و تحجز لنفسها مكاناً خاصاً .

المدخل الأول : وهو مدخل عام واسع ، دخل منه أكثر الشعوب و الأمم التاريخ ، هو مدخل الغزو والفتح ، والاستيلاء و الحكم ، وخير مثال لهذا النوع من الدخول ، و أعظمه شهرة ، الروم ، فقد استولوا فى الزمن السابق بفروسيتهم النادرة ، وقوتهم الحربية ، وصلاحيتهم القيادية ، على رقعة واسعة من العالم القديم ، وأسسوا امبراطورية من أكبر الامبراطوريات التى عرفها التاريخ ،



www.abulhasanalinadwi.org

وعرفوا بقوة الادارة و التنظيم ، وقيادة الجيوش و سن القوانين ، و بقوا مدة طويلة يحكمون عدة شعوب وعدة ولايات فى القارات الثلاث ، أوربا ، و آسيا ، و أفريقيا ، و ضبطوا البلاد ضبطاً محكما ، و حكموا بيد من حديد ، و لكن الواقع أن الشعوب التى كانوا يحكمونها لم تفتح صدرها لهم ، و لم تحبهم قط ، بل بقيت تنظر إليهم كمستعمرين وفاتحين ، وحكام جبارين ، لا يدينون بمبدأ المساواة البشرية ، ولا يحملون احتراماً للانسانية ، وقد كان الرومان أنفسهم يعتقدون أنهم خلقوا ليسودوا و يحكموا ، و أن الشعوب الأخرى خلقت لتطيع و تخدم ، و كانوا يوزعون العالم كلـه بين « رومانيين » و « برابرة » ، فكانت الشعوب المحكومـة تتحين الفرص للتخلص منهم ، وتسرب الوهن على مدى الأيام إلى الجهاز الادارى ، و الطبقة الحاكمة ، و اشتد تذمر المحكومين فحدثت ثورات إثر ثورات ، و انتشرت الأطراف ، وساد الاضطراب ، فتحررت بلاد كثيرة واستقلت ولايات ، واعتبر أهلها ذلك تحرراً من النير الأجنبي ، والحكم الاستبدادى ، و حسبت نفسها سعيدة منتصرة لما خرجت من حكمهم .



www.abulhasanalinadwi.org

والمثل الثانى هو الفاتح الشهير الذى نال من الشهرة العالمية قسطاً لم ينله فاتح آخر ، و دوى له العالم هو الاسكندر بن فيلبس المقدونى ، و قد نهض من أثينا يدوخ العالم ويفتح البلاد، ويخضع الشعوب و الأمم ، و يثل العروش ، و يدوس التيجان ، و يجعل القرى و المدن خاوية على عروشها ، يسودها الظلام و الوحشة ، و كان تفسيراً لما جاء فى القرآن فى وصف الملوك : « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها و جعلوا أعزة أهلها أذلة (١) » ولكنه كان كعاصفة مرت باللاد و العباد ، فأطفأت النيران و أخبت المصابيح ، وخلعت القلوب ، وأرعبت النفوس ، ثم هدأت وغابت كلا شئ ، و عادت الشعوب و اللاد إلى ما كانت عليه ، و لم تذكره الأمم المفتوحة بالخير ، و لم تحفظ له يداً ، فانه لم ينهض فى صالح العباد والبلاد ، و إنما قام ليرضى شهوة الفتح والغزو و يثبت قوته الحربية ، و قيادته العسكرية ، و كان كلاعب رياضى ماهر ، همه الوحيد أن يثبت تفوقه على الأقران ، و يسجل «الرقم القياسى » ، فكان ذلك .

---

(١) سورة النمل : ٣٥ .



www.abulhasanalinadwi.org

و المثل الثالث القريب، الانجليز، فقد دخلوا الهند واستولوا عليها ، وبسطوا فيها الأمن و الاستقرار ، و قضوا على الفوضى و الاضطراب . و أحسنوا تنظيم الادارة ، و أنشأوا الشوارع ، و أقاموا الجسور ، و أسسوا خط الحديد، وأقاموا نظام البريد، و قاموا بمشاريع عمرانية بنائية عملاقة ، و عرفت بهم هذه البلاد التى تأخرت عن ركب الحياة ، وعاشت فى عزلة عن العالم ، العلوم الحديثة ، و الصنائع الجديدة ، والوسائل العصرية ، وبسطوا شبكة دقيقة واسعة من المعاهد والكليات والجامعات ، و قاموا باصلاحات كثيرة ، وتعرفت بهم البلاد لأول مرة بالحياة السياسية ، والنظام البرلمانى ، و الصحافة ، و كان كل ذلك كفيلا بأن تحبهم البلاد ، و تعرف لهم الفضل ، و تشكرهم على النهضة بالبلاد و ترقيتها .

ولكن كان الأمر بالعكس، فلم تفتح لهم صدرها، ولم تولهم حبها أبداً، باستثناء طبقة مرتزقة، أو الخاضعين لمصالح سياسية، ولم يزالوا ينظرون إليهم كأجانب مستعمرين ، و مستولين غاصبين ، و قد طمس على جميع مآثرهم و أعمالهم الخيرية ، عدم إخلاصهم للبلاد والشعب ، فلم تكن لهم غاية إلا بسط النفوذ ، والاستفادة من خيرات البلاد،



www.abulhasanalinadwi.org

و خدمة مصالح بريطانيا العظمى السياسية و الاقتصادية ، و تأسيس مملكة واسعة لا تغرب فيها الشمس ، و مزاحمة الشعوب الأوربية المنافسة ، و إثبات تفوقهم عليها ، و كانوا كالاسفنج يتشرب الماء في مكان و يصبه في مكان آخر ، يتشربه في الهند و يصبه في جزر بريطانيا ، و عدم الاخلاص لا يخفى بل يعرفه الأغبياء و البسطاء فضلا عن الأذكياء و العقلاء ، و ما جاء بالانجليز إلى الهند غرض سام ، ولا دعوة دينية أوخلقية ، ولا رحمة بالانسانية ، إنما دفعهم الجشع الأرضي و الاستغلال المادي .

و كانت القدر تغلي ، و البركان يريد أن ينفجر ، و كانت ثورة ١٨٥٧م ، وأخفقت لأسباب يطول شرحها ، و لكن البلاد لم تهدأ و الفكرة لم تمت ، و الشرارة كامنة في الرماد ، و أثبتت البلاد كراهيتها للحاكم الأجنبي ، و قويت حركة التحرير والجلاء ، ونادى الزعماء بمقاطعة البضائع الانجليزية الأجنبية ، و عدم التعاون مع الحكومة ، و مقاطعة كل ما يتصل بالانجليز ، و يمت إليهم بصلة ، من شعائر ، و مدارس ، وحضارة و ثقافة ، واستفحلت هذه الحركة و انطلقت كموجة عارمة تكتسح كل ما يعترضها في



www.abulhasanalinadwi.org

الطريق ، وأصبحت البلاد شعلة من سخط ومقت حتى جلا الانجليز و تحررت البلاد فى ١٩٤٧م ، و تلا ذلك اتجاه إلى تحرير البلاد من جميع آثار الاستعمار الانجليزى ، و قامت دعوة إلى التحرر من الاستعمار اللغوى و الثقافى بعد ما تحررت البلاد من الاستعمار الاقتصادى والسياسى ، وإحلال اللغة الوطنية محل اللغة الانجليزية الأجنبية ، وتناسى زعماء هذه الحركة ما كان للانجليزية من فضل فى إقامة الوحدة الفكرية و اللغوية ونشوء الوعى و اليقظة فى البلاد ، و إن كانت هذه الغاية لم تتحقق ولا تزال اللغة الانجليزية منتشرة سائدة فى البرلمان و الصحافة ، و دوائر التعليم ، ولكن للغة الوطنية أصبحت اللغة الرسمية ، و أداة التعليم ، و كل ذلك لأنه لم تكن بين الشعب و اللغة الانجليزية صلة دينية ، و لا عاطفية ، و ليست لها جذور فى نفوس الشعب وعقائده ومشاعره وتاريخه ، و كل ما كان هذا شأنه كان سطحياً عابراً ، و أجنبياً طارئاً .

وما يستحق التسجيل أن معظم قادة حركة التحرير فى الهند ، هم الذين رضعوا بلبان الثقافة الانجليزية وآدابها ، وكانوا أشد الناس اتصالا بالانجليز ، و أعظمهم معرفة بهم ، و قد عاشوا فى بلادهم



www.abulhasanalinadwi.org

و جامعاتهم ، و آدابهم ، و عاداتهم مدة طويلة ، فلم تزدهم هذه المعرفة ولم تزدهم هذه الثقافة إلا كراهة للانجليز ، وشكاً فى نياتهم و إخلاصهم ، وعلما بما طبعوا عليه من كبرياء ، و عدم المساواة و المغالاة فى القومية والعنصرية ، فقادوا حركة التحرير و الثورة وحملوا لواء الحركة الوطنية ، وواصلوا الكفاح حتى تحررت البلاد و جلا الانجليز

و المدخل الثانى — أيها السادة — الذى دخلت به بعض الشعوب التاريخ هو العبقرية الفنية ، و الذكاء الباهر ، ووضع علوم جديدة ، وقيادة العقل البشرى ، وهذا هو المدخل الذى دخلت به يونان التاريخ الانسانى ، و استولت به على مشاعر الأجيال ، و تفكيرها و ثقافتها ، و بقيت تقود العالم فى ميدان العلم و الفكر قروناً عديدة ، فقد نبغ فى أرضها الخصبة فلاسفة و رياضيون ، وفلكيون ، وأطباء ، من الطراز الأول ، ووضعوا قواعد وأسساً لعلوم جديدة ، و اخترعوا علوماً كثيرة تجلت فيها عبقريتهم ، و استطاعت يونان بفضلهم أن تكون زعيمة العلم و الفكر ، و رائد البحث ، ورمز التنور و الابتكار و الابداع لمدة طويلة ، وخضع



www.abulhasanalinadwi.org

لها العالم فكرياً و علمياً ، يردد صداها ، و يتغنى باسمها وعلمها .

و استمر ذلك حتى نشأت الأندلس الاسلامية ، ونبغ علماء الاسلام فى الشرق والغرب ينقضون كثيراً مما أبرمه العلماء الاغريق، و يزيدون فى ثروة العلم و الفكر الانسانى ، و يقومون بتجارب جديدة فى مجال العلوم التطبيقية و الكيماوية و الفلكية ، و وصلت إلى أوربا فأثارت فكرها ، و أخرجتها من جمودها و ضيقها و تعصبها ، و بذرت البذور الأولى للنهضة العلمية الجديدة .

ثم جاء عصر النهضة الفكرية العلمية الأوربية التى تسمى النشأة الثانية ( Renaissance ) و قامت أوربا برحلة جديدة فى ميدان العلم و التجربة ، ففتحت فتوحاً فى العلم و الاكتشاف ، أزالت دهشة الفتح اليونانى ، وقضت على سيطرتها العقلية وزعامتها الفكرية، و ظهر خطأ اليونانيين فى كثير من نظرياتهم ، و نتائج فكرهم ، و مقرراتهم العلمية ، و ظهر جهلهم و خرافية كثير مما كان يعتبر آخر ما وصل إليه العقل البشرى ، و انتهى إليه العلم الانسانى ، وبدت تحقيقات بطليموس ، وفيثاغورث ، وأقليدس ، وديوجانس ، و أفلاطون ، و أرسطو ، و بقراط ، و جالينوس ، التى سحر بها



www.abulhasanalinadwi.org

العالم القديم وافتتن بها ، أمام الفلسفة الحديثة ، وعلم الفلك الجديد ، والعلوم الرياضية و الهندسية ، والطب ، وعلم الكيمياء ، والصيدلة ، التى توصل إليها العلماء فى أوربا فى أواسط القرن التاسع عشر ، و أوائل القرن العشرين ، كمحاولات بدائية فى عالم العلم والتجربة ، و أصبحت كقطرة أمام البحر الزاخر ، و هذه سنة الله فى خلقه و نظام الكون و طبيعة الأشياء ، يهزم القوى الضعيف ، و ينسخ الجديد القديم ، ويحل المفيد الجديد محل العتيق البالى « فأما الزبد فيذهب جفاء و أما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض (١) » .

و لم تدن الشعوب الانسانيـــة لليونان فى زمن من الأزمان بالحب و العاطفة ، و الولاء والاخلاص ، و لم تحاول هى بنفسها و لم تدع إليه ، فانما كانت رسالتهـــا العلم و التجربة ، و التسلية العقلية ، و إشباع غريزة البحث المودعة فى الانسان ، بل بالعكس من ذلك أثارت الشك و القلق ، و حب الجدل و الاضطراب الفكرى، فلم تتجاوز علاقة الشعوب باليونان العلاقة الفكرية، وعلاقة البحث و النقد ، و التقدير ، والاعتراف بالفضل فى ميدان الفكر

(١) سورة الرعد : ٢٠ .



www.abulhasanalinadwi.org

والعلم ، لاتقترن به عاطفة قوية ، أو شعور عميق ، أو صلة مقدسة، وكان ذلك شأن علماء اليونان أنفسهم فيما بينهم، يتباحثون ويتناقشون، و يبرمون و ينقضون ، و يهزأون ويسخرون فى بعض الأحيان ، ولم تكن لفلسفتهم ولا للغتهم عقيدة تحميها ، أو شريعة تحافظ عليها، أو كتاب مقدس يصونها ، لذلك انكمشت فلسفتهم ، و اندرست لغتهم ، و اندثرت آثارهم .

وآن لى أن أتحدث عن المدخل الذى دخل منه العرب التاريخ ، وهو أقوى مدخل و أعمقه ، وأكثره خلوداً وبقاء، ولاخطر عليه فى مكان أو زمان مهما تغيرت الظروف و الأوضاع ، أو طال الأمد و بعد الزمان ، و هو مدخل الرسالة و الهداية ، و الرحمة للانسانيـــة ، و الخدمـــة المخلصة ، المجردة عن الأغراض ، لقد بقى العرب قروناً وآلافاً من السنين منطوين على نفوسهم لا شأن لهم بالعالم ، ولا شأن للعالم بهم تتناساهم الشعوب والأمم حولهم، و يتجاهلهم التاريخ ، وقد كانوا مسلحين بجميع الطاقات التى تجعل منهم أمة كريمـــة عظيمة ، تستطيع أن تمثل دوراً فى تاريخ الغزو والفتح ، فقد فاقوا فى الفروسية و الشجاعة ، و « صناعة الحرب »



www.abulhasanalinadwi.org

و كانت عندهم كثير من الأخلاق الفاضلة ، و خلال المروءة التى توجد عند الأمم الأصيلة التى تكون على الفطرة ، و تعيش حياة البداوة و السذاجة ، و كانوا يحملون لغة ذات عبقرية لغوية ، و ثروة واسعة ، و كانت عندهم قريحة شعرية تتدفق كالشلال ، وتجرى كالماء السلسال ، وكانت لهم معلقات ومذهبات أولعوا بها ، و الشعر الكثير و الحكمة الرائعة ، و لكن كل ذلك كان لا يكفيهم للدخول فى التاريخ ، و احتلال الصدارة أو الزعامة فى منتدى العالم .

لقد عاشوا قروناً كثيرة فى هذه العزلة و فى هذا الانطواء، و فى هذا الخمود ، و كان يمكن أن يعيشوا قروناً أخرى فى هذا الوضع ، ولكن الله أراد غير ذلك، فبعث فيهم رسولا من أنفسهم ، يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و إن كانوا من قبل لفى ضلال مبين (١) ، و أكرمهم بالايمان به ، و التصديق له ، و الاخلاص لرسالته و دعوته ، و التفانى فى خدمتها . فتجردوا عن كل ما ينافيها ، و استأنفوا حياة جديدة ،

(١) سورة الجمعة : ٣ .



www.abulhasanalinadwi.org

و كأنما ولدوا فى الاسلام ولادة جديدة .

و كانت الرسالة التى كانوا يحملونهـا رسالة التوحيد النقى ، و الدين الخالص ، ورسالة الطهر ، و الأخلاق الفاضلة ، ورسالة العدل و المساواة . و الرحمة و العطف ، و رسالة العلم والعقل ، وكانوا مخلصين فى تبليغ هذه الرسالة ، لا يتخذونها قنطرة للوصول إلى الحكم و الاستيلاء على الشعوب و الأمم ، لا يخرجون الناس من حكم الانسان إلى حكم الانسان ، و من سيادة أمة إلى سيادة أمة أخرى ، بل يخرجون الناس كما قال أحد رسلهم فى مجلس رستم أكبر قواد الفرس : « من عبادة العباد إلى عبـادة الله ، و من ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام (١) » و كان دليلا على ذلك أنهم كانوا يدعون إلى الاسـلام أولا فاذا أبى القوم دعوهم إلى الجزية فان أبوا حاربوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله (٢) فاستقبلتهم الشعوب المستعبدة المستعمرة ،

---

(١) راجع « البداية و النهاية ج / ٧ ص / ٤٠ .

(٢) جاء فى حديث طويل أخرجه مسلم عن سليمان بن بريدة عن ←



www.abulhasanalinadwi.org

أو الأمم المضطهدة ، والأفراد الذين أساءت إليهم الأديان المحرفة و قسا عليهم المجتمع الظالم ، و ابتز أموالهم ، و شل عقولهم ،

---

= أبيه مرفوعاً « أن النبي ﷺ كان إذا أمر أميراً على جيش أو سرية كان ما يوصيه به و يأمره أن يقول : إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم و كف عنهم إلى آخر الحديث » .

و كانت أولى هذه الخصال الدعوة إلى الاسلام ، ثم الجزية ، ثم القتال .

و قد ألغى الخليفة الأموى الراشد عمر بن عبد العزيز فتح سمرقند بعد مامضى عليه سبع سنين ، لأن أهلها المشركين شكوا إليه أن قتيبة قد استولى على المدينة ، و استعمر المسلمين فيها و لم يدعهم إلى الاسلام ، و لم يخيرهم بين الجزية و القتال ، وأمر بخروج المسلمين من البلد والعمل بحكم الشريعة من جديد ، و أسلم معظم أهل البلد .

« اقرأ القصة بطولها فى فتوح البلدان للبلاذرى ص ١٢٢ طبع بريل ١٨٦٦ م . »



www.abulhasanalinadwi.org

و حرياتهم الأحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ، ويصدون عن سبيل الله ، كمنقذين ودعاة ومعلمين ، وآباء مشفقين ، و إخوان متحابين ، واستقبلوهم كفرقة الاسعاف الطبي ، ورجال المطافئ ، لا يعنى المريض الجريح ، و لا المنكوب المفجوع الذى وقع فى بيته الحريق بالبحث عن جنسيتهم ، والعناية بلغتهم ولهجتهم ، إنما يعنى بغايتهم و رسالتهم ، مم رأوا منهم عطف الآباء و حنان الأمهات ، و المساواة التى لا نظير لها ، والبر والمواساة ، فارتمى فى أحضانهم « المنبوذون» والأشقياء ، والتجأ إليهم الطريد الشريد ، و فضلوهم على بنى ملتهم ، و أبناء جلدتهم ، و الاخلاص لا يخفى ، كما لا يخفى عدم الاخلاص ، و قد بلغ ببعض الشعوب المفتوحة حبها للفاتح الرحيم ، والوالد الكريم أن أبدت عواطفها ومشاعرها فى أشكال ومظاهر ، لايقرها دين الفاتح ، ولا يرضاها القائد نفسه ، فقد سجل التاريخ أن أهل السند البراهمة الوثنيين الذين غزاهم محمد بن القاسم الثقفى ، وفتح بلادهم — ذلك الفتى المغوار الذى لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره — هاموا بحبه حتى بعد شهادته ، أن نحتوا له تماثيل ، و ذلك مالا يوجد له نظير فى تاريخ للغزو و الفتح .



www.abulhasanalinadwi.org

و قد جربت الأمم المفتوحة مثالا جديداً للحكم ، لا عهد لها به ، تتحكم فيه المعايير الخلقية و المبادئ الفاضلة ، و تسود فيه المساواة ، و مبدأ تكافؤ الفرص ، و احترام الانسانيـــة ، بجميع أشكالها ، و أجناسها ، و ألوانها ، و كان الحكام يوفون بالعهد ، و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر ، و ينفذون حدود الله على الشريف و الوضيع ، و الحاكم و المحكوم ، و يتناصفون بينهم و كان منهم من يؤثر جانب الهداية على جانب الجباية (١) ، و قد شاهدت طرازاً جديداً فريداً للانسانية لم تشاهده من قبل ، نزاهة نفس ، و سمو نظر ، و علو همة ، و رقة شعور وقوة عاطفة ، و سلامة ذوق ، و استهانة بالزخارف و المظاهر الجوفاء ، و تمرد على المادة ، قد انفردوا ، بالنظر والخبر ، و أذان السحر (٢) ،

---

(١) كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله ، وقد شكا إليه ضعف مالية المملكة لاعفاء من كان يدخل فى الاسلام عن الجزية ، ويحك إن محمداً ﷺ قد بعث هادياً ، ولم يبعث جابياً ، . ( سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم )

(٢) هذا التعبير مقتبس من منظومة للشاعر محمد إقبال ، قالها ـــ



www.abulhasanalinadwi.org

وتقلص ظل العرب من السند و الهند سريعاً ، ودخل البلاد شعوب و سلالات إسلامية لا تتكلم اللغة العربية ، و أسست حكومات دامت ثمانية قرون ، و لكن بقى للغة العربية سلطان على النفوس و القلوب يتدارسها و يبرع فيها و يحذقها آلاف من الناس فى كل جيل ، و يؤثرونها بالتأليف و التحقيق ، و يفضلونها على لغاتهم التى نشأوا عليها ، و على لغات البلاد والأقاليم ، وتستمر حركة التأليف والتعليم والتحقيق قوية فى اللغة العربية إلى يوم الناس هذا ، وتبلغ عناية أهل الهند بها و زعامتهم فيها إلى أن ينبغ فيها ، مثل العلامة حسن بن محمد الصغانى اللاهورى ( م ٦٥٠هـ ) الذى يؤلف معجماً كالعباب الزاخر ، و السيد مرتضى البلكرامى المشهور بالزبيدى ( م ١٢٠٥هـ ) الذى يتناول القاموس المحيط للفيروزآبادى

---

■ على لسان طارق بن زياد حين دعا للمسلمين قبل أن تنشب الحرب فى الأندلس ، و المقصود أن العرب كانوا يمتازون بعلم جديد ، و إشراق جديد ، و شعار جديد ، هو شعار التوحيد الذى كان يدوى فى الفضاء ، والناس نيام غافلون.
( روائع إقبال « دعاء طارق » ص ١٤٤ )



www.abulhasanalinadwi.org

بالشرح و التحقيق . فيطبع موسوعة لغوية فى عشرة مجلدات كبار وفى خمسة آلاف صفحة ، يسميها بتاج العروس فى شرح القاموس ولا نعرف أن معجماً شرح فى أى لغة من لغات العالم بهذه الدقة والتفصيل ، هذا عدا كتب تعد بالألوف ألفها علماء الهند فى اللغة العربية فى مقاصد دينية ، و موضوعات علمية (١) ، وفى مصطلحات العلوم ، و غريب الحديث ، و شروح دواوين السنة .

ولم يفكر أهل الهند قط فى التحرر من سلطان اللغة العربية، و الاستغناء عنها ، ولم يعتبروا ذلك قط أثراً من آثار الاستعمار العربى القديم ، و لم ينظروا إليها فى حين من الأحيان كلغة أجنبية احتلت البلاد و العقول ، و دوائر التعليم و مجـال التأليف ، بل بالعكس من ذلك ورغم الأحداث و الانقلابات ظلوا عاضين عليها بالنواجذ ، دائنين لها بالحب و الولاء ، و الاجلال و التقدير ،

---

(١) ليرجع إلى كتاب « الثقافـة الاسلامية فى الهند » للسيد عبد الحى الحسنى ( م١٣٤١هـ ) للاطلاع على سعة الحركة العلمية التأليفية فى اللغـة العربية فى الهند ، وضخامتها ، طبع المجمع العلمى العربى بدمشق .



www.abulhasanalinadwi.org

و هم يواجهون أدق مشكلة من مشكلات اللغات التى تواجهها أمة، يعشقون كلماتهـا و يتبركون بتعلمها و تعليمها ، و يتنافسون فى خدمتها و نشرها ، و يوجد منهم اهتمام بها لا يضارعه اهتمام لأى أمة بأى لغة ، و ذلك كله لأن هذه اللغة هى اللغة التى نزل بهـا القرآن ، و دونت فيها الشريعة ، و تكلم بها الرسول و أصحابه ، واقترنت بها عقيدة ، وعاطفة دينية ، فسلطانها لا يتحدى ، ومكانها من القلوب لا يزاحم ، وجذورها فى النفوس لا تقتلع ، حتى إن اللغة الفارسية التى بقيت لغة الديوان ، و لغة الرسائل و الانشاء ألف سنة تقريباً ، وكانت لغة فاتحى الهند ، ومؤسسى الحكومات ، من غزنوية ، و غورية ، و أفغانية ، ومغولية ، و نبغ فيها شعراء سلم لهم شعراء إيران بالاجادة والامامة ، و سرت بشعرهم الركان اعتراها من الضعف ، وانصراف الهمم عنها ، و زهد الناس فيها ، حتى خيف عليها من الانقراض فى الهند ، و لولا عناية الجامعات الهندية بها ، وإنشاء قسم خاص لتدريسها ، والامتحان فيها، لطوى بساطها ، وخبا مصباحها نهائياً ، لأنها لم تقترن بعقيدة و شريعة ، و لم تقم على عاطفة دينية عميقة .



www.abulhasanalinadwi.org

• وظهر وفاء المسلمين فى الهند للغة العربية، والثقافة الاسلامية، وشدة تعلق قلوبهم بكل ما يتصل بالعرب الذين حملوا مشعل الاسلام، وبجزيرة العرب والحرمين الشريفين، و مهد الاسلام ومهبط الوحى ظهوراً، كان موضع دهشة الغلاة من القوميين فى الهند، وموضوع نقدهم و لومهم، ورأى بعضهم أن ذلك ينافى الاخلاص للوطن والحماس له، و إيثاره على كل شئ، و لكن المسلمين يواجهون هذا النقد و الملام فى شجاعة و إيمان، و ثقة و اعتزاز، و لا يزيدهم ذلك إلا قوة وصموداً، ويرونه حقاً من حقوق العرب الذين نالوا بهم سعادة الدنيا و الآخرة، و خرجوا بفضل دعوتهم و إخلاصهم وجهادهم من الجاهلية إلى الاسلام، ومن عبادة الأصنام و الأنهار، و الحيوانات و الأشجار، إلى عبادة الله وحده (١).

---

(١) يقول الدكتور محمد إقبال مخاطباً للرسول العربى ﷺ،

« إنا — و إن ولدنا فى بلاد عريقة فى الوثنية — رفضنا أن نعبد الثور و البقر، و أبينا أن نطأطئ رؤسنا أمام الكهان و السدنة، فلم نخر بين يدى الآلهة القديمة، و لم نطف حول بلاط الملوك و قصور الأمراء، و الفضل فى



www.abulhasanalinadwi.org

و ظل هذا الصفاء قائماً ، و دامت هـذه الثقة لا يضعفها شئ ما دام العرب مخلصين للاسلام متجردين له معنيين بخدمة الانسانية ، و العطف عليها ، لا يعدلون بالقومية الاسلامية قومية ، و برسالة الاسلام و الدعوة إليه رسالة و دعوة ، ولا يتحمسون لغير الاسلام ، فلما تغيرت أخلاقهم فى العهد الأخير ، و قامت فيهم الدعوة إلى القومية العربية وتبنوا واحتضنوا دعوات أخرى ، وتحمسوا لها تزعزعت ثقة الشعوب غير العربية بهم وتغيرت نظرتها ونظرة العالم إليهم ، وبدأت هذه الشعوب تتذكر قومياتها وفلسفاتها و حضاراتها ، و أمجادها و لغاتها التى تناستها ، و استهانت بها ، و آثرت عليها القومية الاسلامية ، و الحضارة الاسلامية العربية ، وأمجاد الاسلام ، واللغة العربية ، وتوجه إليها طعن زعماء القوميات المحلية و تهكموا بها ، و صاروا يتساءلون : لماذا لا يسوغ لأبناء الوطن أن يرجعوا إلى قوميتهم و حضارتهم حين بدأ العرب يتفننون

---

= كل ذلك يرجع إلى دينك الذى جئت به ، وإلى جهادك الذى قمت به » . (روائع إقبال ص ١٨٧/١٨٨)



www.abulhasanalinadwi.org

بقوميتهم ، و يفكرون فى العودة إلى حضارتهم الجاهليـــة و أمجادهم القديمة ، و أبطالهم القدامى الذين حارب كثير منهم الاســـلام ، و دافع عن الجاهلية دفاعاً مستميتاً ؟ و صعب للتمسكين بالاسلام فى هذه البلاد أن يقنعوا هؤلاء المعترضين و يقطعوا ألسنتهم، وإن كان أولئك الذين شرح الله صدورهم للاسلام لا يزالون مصممين على التمسك بالاسلام ، عاضين عليـــه بالنواجذ ، مقدرين نعمته ، جحد الناس هـــذه النعمة أو قدروهـــا ، و آمنوا بالاسلام أو كفروا به .

وأخيراً فليعرف العرب أنهم ما دخلوا التاريخ إلا عن طريق الرسالة الاسلامية ، و الدعوة الاسلامية ، ولم يغرس الله حبهم فى النفوس و القلوب ، و لم تنتشر لغتهم هـــذا الانتشار الواسع ، ولم يكتب لها الخلود والبقاء ، و لم تدون فيها هذه العلوم الكثيرة ، و لم تتكون فيهـا هـذه المكتبة الضخمة التى كان قسط علماء العجم فيها أعظم من قسط العرب أنفسهم إلا بفضل القرآن ، و الشريعة الاسلامية ، و لا يعود العرب إلى مركزهم الأول ، ولا يدخلون



www.abulhasanalinadwi.org

لتاريخ مرة ثانية إلا من هذا المدخل الذى دخلوا منه أول
رة .

« و لله الأمر من قبل و من بعد و يومئذ يفرح المؤمنون
صر الله » .



www.abulhasanalinadwi.org

# رسائل أخرى للمؤلف

(١) ملة إبراهيم و حضارة الاسلام

(٢) اسمعوها منى صريحة أيها العرب

(٣) الفتح للعرب المسلمين

(٤) مؤاساة أم مساواة ؟

(٥) كارثة العالم العربي و أسبابها الحقيقية

(٦) تعالوا نحاسب نفوسنا و قادتنا !

(٧) منهج أفضل فى الاصلاح

(٨) دور الاسلام فى نهضة الشعوب

(٩) إسمعى يا إيران



www.abulhasanalinadwi.org